تجليات الحزن في الشعر الشعبي النسوي بمنطقة الجلفة

Manifestations of Sadness in Feminist Folk Poetry in the Djelfa Region

1 مريم كريفيف *

جامعة الجلفة (الجزائر)، Mereimmimi03@gmail.com

2 عبد الوهاب المسعود

wahab22m@gmail.com

مخبر استراتيجيات الوقاية و محافظة المخدرات في الجزائر

جامعة الجلفة (الجزائر)

تاريخ الإرسال: 2020/02/11 تاريخ القبول: 2020/02/11 تاريخ النشر: 2022/06/16

ملخص :

أدركت الشاعرة الشعبية الجلفاوية أن الزمن الذي تعيشه , هو زمن قهر وعنف وحزن , فجاءت أشعارها حزينة معبرة عن صرخة تنطلق من أعماق الألم وتمزق روحها الإنسانية , إنها ضربات قاسية أليمة ناجمة عن قضايا الواقع المر التي توالت على الشاعرة منذ الخمسينات , وهذا هو واقعنا الحالي الذي تعشنه شاعراتنا بمنطقة الجلفة , ففرض عليهن الواقع المرير أن تعشن أحزانا وأوجاعا لتصب مشاعرهن الصادقة في قالب شعري واحد, فهذه سنة الحياة بين فرح وحزن « فالحياة تستوجب الموت , وإذا كانت هناك فرحة بالميلاد كان هناك حزن بالفناء ».

الكلمات الدالة: تجليات , شعر شعبي , حزن , نسوي, ألم .

Abstract :

The galvanic poet realized that the time in which she lived is a time of oppression, violence and sadness, and her poems came sad, expressing a cry that emanates from the depths of pain and tears her human soul. Our female poets live in the region of Djelfa, so the bitter reality imposed on them to live sorrows and sorrows to pour their sincere feelings into one poetic form. This is the year of life between joy and sadness. Life requires death.

Key words : Manifestations, folk poetry, sadness, feminism, Djelfa

* المؤلف المرسل

مقدمة:

يعتبر النص الشعري الشعبي النسوي , كغيره من النصوص الشعرية الأخرى, الذي يحيلنا إلى تصور مشاعر إنسانية , ويكشف قضايا إنسانية , ويظهر إبداعات المرأة وما تعايشه من أحداث وموضوعات اجتماعية حزينة بحته ومن هذا تعددت تفسيرات الباحثين لظاهرة الحزن التي تغزو شعرها باختلاف قضاياها , وهذا الكلام مستوحى من قراءة شعر المرأة الجلفاوية نفسه , كما نجد هذه الظاهرة تفرض نفسها بقوة على شعر المرأة , وذلك من خلال استقراء النماذج الشعرية الشعبية .

فالحزن هو حالة نفسية تصيب الشاعرة لفترة زمنية تطول وتقصر, يشكل سمة تطغى على العديد من القصائد متداخل في كل المناسبات والخلجات التي تنتابها الشاعرة, وفي تقلبات نفسها بين مختلف الآهات والأوجاع, ويعلل أحد الباحثين ذلك : « ربما تكون غزارة الحزن عندها عائد إلى ما يوافق نفسية المرأة العربية من انطواء تحت قواعد اجتماعية وإنسانية معينة » .

يهدف البحث إلى دراسة الحزن في الشعر الشعبي النسوي في منطقة الجلفة , كظاهرة لها حضورها وتجلياتها وتأثيرها في العديد من القصائد التي تم التطرق إليها , ويهدف إلى محاولة التعرف على الأسباب التي أثرت على العالم النفسي للشاعرة المبدعة , والتي جعلت منه إنسانا حزينا تنفث حزنها وتسكب آلامها في قصائدها , كما يسعى البحث لتبيان أسباب الحزن والتشاؤم على العوالم النفسية للعديد من الشاعرات , والأمر الذي يجعل الحزن سمة تطغى وتلاحظ بوضوح في معظم نتاجاتهم الشعرية .

كما سنتطرق إلى مفهوم الحزن وعرض أهم الموضوعات التي أحزنت الشاعرة واختبار العديد من القصائد أو المقطوعات الشعرية لبعض الشاعرات لنقوم بدراسة بعض النماذج منها بغية الوقوف على معالم الحزن فيها , ويعمد إلى ربطها بحياة الشاعرة ومعاناتها وتقلبات عصرها , ومحاولة الوصول إلى الأسباب التي أدت إلى شيوع الحزن وانتشاره وغلبته على معظم القصائد .

1- مفهوم الحزن :

هو ألم نفسي يوصف بالشعور بالبأس والعجز , غالبا يعد الحزن عكس الفرح وهو شبيه بالهم , الأسى , الكآبة اليأس, ومن المؤكد بأن هذه المشاعر بالعادة هي مشاعر سلبية عندما يشعر بها الإنسان , فيصبح الشخص هادئا قليل النشاط , منفعلا عاطفيا , واختلفت آراء بعض الباحثين في مفهوم الحزن فورد في لسان العرب لابن منظور« الحزن في لغة العرب : ما غلظ من الأرض ويطلق أيضا على خشونة الأرض , وخشونة النفس لما يحصل فيها من الغم , وهو نقيض السرور, فيقولون حزن حزناً, وحزن بمعنى أغتم » . (1)

ويعرف الكندي الحزن بأنه: « ألم نفساني ناتج عن فقد أشياء محبوبة أو عن عدم تحقيق رغبات مقصودة » وحقيقة الحزن عنده « شعور نفسي فطري يتمثل في انقباض المزاج وفقدان المتعة والسرور لدى الإنسان وهو ينتاب كل إنسان من فترة إلى أخرى حسب ما جبل عليه من الأخلاق , وما يعتريه من نكد الحياة , فإنه لا يدوم في الغالب , بل

يضمحل من تلقاء نفسه , أو بمقامة الشخص إياه له بالأسلوب المناسب, فالحزن والفرح أمران فطريان متضادان خلقهم الله في وجدان الإنسان , يخمد أحدهما في طغيان الآخر عليه وظهوره».(2)

ويتوسع محمد عبد الرحمان العيسوي في موسوعته أكثر في تعريفه للحزن ويخرج به إلى أبعاد الجسدية والفلسفية « وهو استجابة متعددة الأوجه للخسارة , خصوصا عند فقد شخص أو شيء يربطنا به علاقة قوية , على الرغم من أن تركيزنا يكون تقليديا على الاستجابة العاطفية للضياع إلا أن له أبعاد جسدية , معرفية , سلوكية , اجتماعية وأبعاد نفسية ». (3)

كما حلّ الحزن محل الرثاء في الشعر المعاصر لتقاربهما الشديد في المعاني و المضامين وهذا ما ذهبت إليه فاطمة حسين العفيف أيضا فهي تقول: « فقديما كان الرثاء والآن الحزن , هذا الحزن الذي يتخذ طابعا فلسفيا أحيانا نشعر معه أنه ملتصق بالمرأة أينما حلت مع ملاحظة أن الشعر المعاصر لا يقسم الأغراض الشعرية على ما سارت عليه في القديم فضلا على أن الحزن لا يستقل بقصيدة , وإنما مبثوث في ثنايا القصيدة »(4), ومنه يمكن القول أن الرثاء مصطلح الأغراض الشعرية القديمة والحزن مصطلح للشعر الحديث والمعاصر .

2.-أسباب الحزن في الشعر الشعبي :

لقد عاشت الشاعرة الجلفاوية دائمة الاحتكاك بواقعها المرير ولم تعش في نعومة ونعيم , بل إنها عاشت ولا تزال تعيش بين نار ذاتها وجهنم واقعها , فالحزن الذي أصاب الشاعرة لم يأتي من عدم , بل التحم شعرها من مشاكل واقعها ومن هنا نقول أن الواقع والظروف المؤلمة القاسية التي تعيش فيها الشاعرة هي التي تتسبب في حزن الشاعرة العميقة والصادقة , ذلك الذي نتج عنه الاضطراب والحيرة والقلق , ومن بين هذه الأسباب الناجمة عن حزن الشاعرة وتغلب قالب الألم واليأس والملل من الحياة , فأول لوحة من لوحات الحزن , نجد ارتباطها الوثيق بالموت , وهوا السبب الطاغي بكثرة على موضوعاتها الشعرية الشعبية, ومن بين الأسباب الأخرى غياب التوافق العائلي وعدم استقرار الحياة الأسرية ووجود مشاكل كثيرة بين الزوج والزوجة وغياب الانسجام , الحزن على إصابة الأحبة بالمرض وإصابته بالمشاكل الصحية وهذا من جانب الأسباب الذاتية التي تختلف من شاعرة إلى أخرى , وفي هذا السياق توجد أسباب موضوعية والتي تتعلق بالواقع التي تعيش فيه الشاعرة والتي تجعل من الحزن ظاهرة واضحة للعيان تطغى على معظم تجاربهم الشعرية .

3.-مظاهر الحزن وتجلياته في الشعر الشعبي النسوي :

3. 1- الموت :

يعد موضوع الموت إحدى الموضوعات التي تناولتها الشاعرة الشعبية بمنطقة الجلفة بشكل عام و فالحديث عن الموت يخرج الإنسان من دائرة الواقع إلى دائرة الخيال , كذلك إن الموت ظاهرة إنسانية شغلت حيزا كبيرا من تفكير الشاعرة , حيث أن الموت ملازم للحياة , تبعا لعوامل عديدة نفسية وبيئية , لذا لا يكاد يخلوا نص شعري من حضور الموت بشكل أو بآخر , و به تطلع الشاعرة الحائرة بقلبها وعقلها ساعة الحزن تراءت لها سورة الموت والحزن والتشاؤم والموت سنة الحياة ونهايتها المحتمة « فهذه طبيعة الحياة خلق وولادة , وشباب فكهولة فشيخوخة فموت »(5) .

أُمَّا عَيني اليوم قلت نقول عليك يـا مَعْتَى ذ لفَاجْعة يا مَولَانـا
مَا دَرْتَشْ فَالْبَال ضَنّي نُخْدُع فيـك مْشَوَّم خَبْرك كِي صْدَّم لَيْنَا جَانَـا
رُحتي لِلحَمَام والأجل أمَّشِيـك ضَنيتُو هذاك تَالـي مَلقانـا
إدَّرقتي مثل العروس على قَاشِيك وفَاح المسك عليك مثل الرَيحَانَة
قُلتي لأُمْ الخَير نَخْدَم ونْهَنِيـك خُفت عليك إذا انشقتي تَعْبَانـة
فِـي دار الحَمَام دَار الحَال عليك خْرَجتي منها يا حبيبة زَعْفَانَـة
ربِّـي حَضَّر عايشة واتْنَشْعَت لِيك للمشفَى مْشَات رَجْلَك حَفْيَانـة

أ-**موت الأم** : عاشت الشاعرة واقع مرير بعد فقدانها لأمها , وأحست باليتم وعايشته وفقدت طعم الحياة بأكملها « وتكون المصيبة أعظم إذا كانت الفقيدة قريبا من نياط القلب لصيقا بشفاف الروح , فلا أقل عندها من بكاء الشعراء على موتاهم وإظهار أسمى آيات الشوق إليهم في لحن وجداني حزين »(6).

تعتبر الشاعرة «شداد ربيعة»إحدى شاعرات منطقة الجلفة التي ترثي أمها في قصيدة شعرية تعبر فيها عن مدى اشتياقها وحنينها إلى أمها والتي تهديها إياها وهي تحت الثرى قائلة :

تصف لنا الشاعرة في أبياتها عن طريقة موت أمها وعن الفراغ الذي خلفته , وعن شوقها الحار ولهفتها عليها, عموما فإن هذه المرثية تعبيرها بارز عن خلجات النفس البشرية , ظهرت فيها ملتهبة الجوانح مكسورة الخاطر , مهزوزة الفؤاد كما حرصت في قصيدتها على تصوير حزنها وألمها على فقدانها لأمها فجاءت مفرداتها الدالة على ذلك« أما عيني », « يا معتى ذ الفاجعة »,« مشوم خبرك كي صدم لينا جانا » مما يدل على شوقها الكبير لحنان أمها .

وتقول الشاعرة « زينب بن عمار » في قصيدة لها بعنوان « يا لميمة » وهي الأخرى ترثي أمها وتعبر عن ما في داخلها في قالب شعري عن الألم والحزن لهجران أمها .

فتقول:

يَـا لميمـة رَاهْ طَـال غْيَابَـك عنَّـا وَهَجْرِينَـا مَـا ظْهَـر مَنّـك جْـوَاب
يـا الحْنِينـة عْـلَاه شـوَّرتِ عنَّـا وخليتِّينـا في الـوَعَر مـن غـير أَتْيَـاب
شْـوَيتي قَلـبْ وْلِيـد وبنيَّـات صْـغَار وبَابَـاهُم وَعْـلَاه خَلّيتيـه غْرِيـب
وَحْـدَاني في غُربتُـه مـن غَـير وْنِـيس يَسْـتنَى في رَجَعْتَـك مـن نَـارُ ذَاب
يَتْجـرّع في مْـرَارة الفُرقَـة وعْـلَاه صَـابر يَسْـتنّى لا مِيـدُقْ البَـاب
يُرصَـد في الأَخْبَـار تَنْفاسُـه تَنْهَـاد يْطَمَّـن ويْـرَيَّح القَلـب اللّـي طَـاب

يتضح أن الشاعرة في حالت ضياع كلي , وتجلى ذلك من خلال الصور التالية « يا لميمة راه طال غيابك », «شويتي قلبي »,« يتجرع في مرارة », فهي عبارات تفصح عن مدى تعلقها بأمها وشدة حزنها عليها , تندفع في وصف أحاسيسها ويسهب في تصوير انفعالاتها , فراحت الشاعرة تصف حالة أبيها وإخوتها بعد فراق أمها فكانوا ملتهبوا الجوانح مهزوزوا الفؤاد , حالتهم حالة الغريب في بلاد الغربة .

نجد لدى المرأة قدرات خلاقة وحيوية , ربما لا نجدها في الرجل , «فقد منحتها قدرة الله الرقة والعذوبة وقد اقتضت وظيفة الأمومة أن تكون المرأة أكثر حساسية من الرجل وأسرع استجابة للمؤثرات العاطفية والوجدانية»(7) , وهذا ما تأكدت من الشاعرة « زينب بن عمار » في تجربتها مع الحزن والألم , حزنها على أمها أو حزنها على نفسها التي فقدت عزيزا عليها .

ب –**وفاة الابن** :

تعاني المرأة بعد فقدانها لابنها أو ابنتها الويلات والآهات والآلام القاسية ومن بين النساء اللواتي عايشتن هذا الطعم المر نذكر الشاعرة الجلفاوية « أم مروى » في قصيدة لها , والتي فجرت كل طاقات الحزن والألم واليأس وبكت على ابنتها بحرقة فجاءت بعنوان « وجع مروى » , ويعد العنوان عند صالح مفقودة « مفتاحا مكننا من ولوج علام النص , ويضبط في الوقت نفسه طريقة الدخول فالعنوان من خلال طبيعته الإحالية والمرجعية يتقاطع مع نصوص أخرى وبالتالي فهو دال إشاري وإحالي»(8), فالعنوان عند العلاق : « تحديد لاتجاه القراءة , ورسم احتمالات المعنى و قد سعى الشاعر الحديث في أكثر الأحيان إلى أن يكون عنوان القصيدة تفسيريا , يجسد معنى القصيدة أم يختصر حكمتها»(9), فجاء العنوان مطابق لحالة انفعال الشاعرة عن ما يوجد في داخلها من عذاب أليم فتقول في قصيدتها ترثي فيها ابنتها فتقول :

عَيَّانـــي سَـــهْر اللَيَّالـــي مَـــا نُرقـــد ... ولِـــي بيَّ قـــالمْوْلى عَـــالم بِيـــه
أنْبَـــات أنْخَمَـــم والعَقَـــل مِـــني شَـــارْد ... وأنـــا مـــا نَعـــرَف أَشْـــوَار أنْقُـــد ليـــه
وأمْـــعَييني كُـــل لَيْلـــة يجَّـــدَّد ... يَـــا شَـــيْبِي هـــذا مَـــا طُقْـــت أعلِيـــه
أنـــا بِيَّ وَحْـــش مَـــرْوَى مـــا نَجْحَـــد ... قـــدَالِي مشْـــعَال فِي قلـــبِي كاوِيـــه
راهَـــا نَـــارُو قاديـــا فِيَّـــا تَصْـــهَد ... أُويَـــا مَـــرْوَى هـــذا الجْمـــر وَاشْ إيْطَفِيـــه
قلـــبي حَسّـــيتُوا مِـــن لـــدَّاخِل رْمَـــد ... أورَاه أدَمَّـــر لا حَيَّـــة أن تُوجِـــد فِيـــه

فلا يشعر بألم الجرح إلى صاحبه ولا يحس بصهد الجمر إلى من عاش مرارة الفقدان , فالشاعرة جرحها كبير وفاجعتها عظيمة , جعلتها تعيش حالة نفسية مضطربة ومشوشة حيث استخدمت الشاعرة عبارات دالة على ذلك « قلبي حسيتوا من لدّاخل رمد »,« يا مروى هذا الجمر واش إيطفيه »,« قدالي مشعال في قلبي كاويه », تدل هذه

العبارات على حزنها الشديد وقوة ألمها وحرقة قلبها على فقدان أعز الناس إلى قلبها, والفراغ الشاسع الذي تركته فهي مصدومة ومقهورة بما فعله الزمان الغدار بها .

تواصل الشاعرة شكواها على أن الحياة بدون ابنتها منعدمة ولم يبقى أي طعم في هذه الحياة من بعد مغادرتها, وذلك واضح في قولها :

إلِّي كَـــان اَقْرِيـــب لِيَّـــا رَاه أَبْعَـــد يَا مَصْمَط ذا الحَوش مَروى مَا هِي فِيه
يَـــا مَـــروى في قُرَبَـــك رَانِي نَسْـــعَد أَلَا طـــلَا مـــن شُـــوفْتَك ضُّـــري تَبْرِيـــه

تواصل الشاعرة سرد ألمها و الواقع المر الذي تعيشه وتصور معاناته , فهي لم تفقد ابنتها فقط بل فقدت ابنها محمد الذي يقطن بعيدا عنها , تتضاعف ألامها وتتوسع جراحها من قوة الصدمة , ففقدانها لأبنتها ورحيل ابنها إلى بلاد الغربة أمر صعب و عسير ، فالجرح أصبح جرحان وما يدل على ذلك في قوليها :

أَتْوحَشّـــنا مَـــروى نَايـــل محمـــد وأنا وَلْـدِي عُـدَت مـا نُصْـبُرش أَعْلِيه
يَـــا محمـــد مَرْكْـــزَك ولَالِي ضَـــد أَخْيَالـــك في كُـــل مْكَـــان أَنْلَاقِيـــه

3. 2- الحب :

لا يعد الموت السبب الوحيد للحزن , بل هناك أسباب عديدة ودوافع تدفع إلى حزن الشاعر ومن بينها المرض ومشاكل الحياة والعائلية ومنها الحب فهو عاطفة إنسانية يشترك الناس فيها جميعا , ومن المعروف أن الحب يروي ظمأ العاشقين بالسعادة ولكن أحيانا المشاكل المتكررة وعدم التفاهم تجبر العاشقين على الفراق , ولقد نسج الشعراء الكثير من القصائد عن ألم الحزن بعد الحب « الطابع العام لشعر الحب في شعر المرأة العربية المعاصرة وهو طابع الحزن والشكوى عن عدم وفاء الحبيب , فالشاعرات قلما يصورن لذلك الحب الحسية فحبهن عاطفي يضيق بالأول عقبة تعترض طريقه ويثور عليها ويتمنى زوالها»(**10**).

إن الحزن واليأس يسيطران على مشاعرنا و كما أنه من المحتمل أن يكون للتطور الزمني سببا في ذلك بحكم التغيرات الحاصلة, ومنه ومن باب الطرح الموضوعي لتجليات الحزن في موضوعات الشعر الشعبي النسوي وجب التطرق للموضوع .

ومن هذا الصدد نذكر الشاعرة الجلفاوية « بزيز فتيحة » التي تروي في قصائدها عن ألم الحب والفراق فتقول :

عُمـري مـا ضَـنِّيت في حُبّـك تَغْـدَر مَحْبُـوبي وتبِيـع القلـب اللّـي شَـاريك
تَخْـدَعِني وتلُـوحِني وَسْـط المجْمَـر بعد الحُبّ خْلَاص ضُرْكَ هُنْت عليك
مـن حُبّـك عَقْـلي المسْكِيـن تبَعْثَـر نَدْعـي طُـول اللّيـل للمَولَـى نَشْـكيك
كـل مـا درتُـو يولّـيلك بالمِـرّ وعـذابي والهـمّ يخطِينـي ويجيـك
كل يوم تعُود من شَـوقك تَسْكِر كَـاس الحُـزن الله طالبَاتُـو يَسْقِيـك
ذُركـة رُوح خْـلَاص قـا عَـنِّي وَخَّـرْ والقـلب اللّـي مِلْكـك رَاح عليـك

من خلال هذه القصيدة تظهر علامات اليأس والحزن , من خلال معاناتها جراء اشتياقها وتمنيها لقاء الحبيب وتخاطب شريكها برقة وحنية على السبب الذي جعله يتركها ويخون قلبها , الذي لا طالما كان شريك عمرها في السراء والضراء .

وتقول في قصيدة أخرى بعنوان « قالي انسيني » :

قالـــي انسِـــيني مانِـــي قـــادر نُوعـــد بعـــد نحبُّـــو ســـكن لـــي في لكْنَـــان
بعـــد نحبُّـــو فـــي جنانـــي وَرد فـــاح الـــوَرد بعَبـــق الرّيحـــان
مَانـــي قـــادرة عَـــنُّو نْبَعّـــد في بُعـــدُو تـــتراكْم لِـــي الأحـــزان
غـــير هُـــو في جنبُـــو نسْعَـــد بـــين أحضَانُـــو نحـــس بالأمَـــان
في غيّابُـــو نّـــاري تَصْهّـــد والقلـــب المسكيـــن يْـــوَلّي عَطشـــان
قـــاع النّـــاس عَنّـــي تشهـــد قلـــبي لِيـــه وعُمـــرُو مـــا خَـــان

فالشاعرة لاتطيق تحمل العيش بدونه وتعبر عن ضعفها « ماني قادرة عنو نبعد » واصفة حالتها بعد فراقه لها «في بعدو تتراكم لي الأحزان », مما يدل على ثقل معاناتها وعدم استطاعتها أن توقف عن حبها له , بل فراقه عنها زاد أكثر لهفة واشتياق , وهي لم تستسلم لحبها وتواصل اشتياقها حتى وإن كلف ذلك وقتا طويل الأمد , فصورت الذات بتوظيفها لكل أحاسيسها ومشاعرها « القلب المسكين يولي عطشان » , « في غيباك ناري تصهد » فكان تصويرا صادقا لا يخلوا من العواطف الأليمة والحساسة , إنما يدل عل تعبها النفسي والجسدي فهي غير قادرة على تحمل الفراق , فالمرأة بطبيعتها رهيفة الإحساس لا تتحمل المصاعب والمحن, وهذا ما أكد عليه « بشير يموت » في قوله : « فالحزن والبكاء واللوعة والأسى , وندب الميت , كان من مهام النساء , لأن الحزن ينبعث من النفوس الحساسة ولا شك أن المرأة أقوى إحساسا وأشد حزنا , وأرق عاطفة وشعورا من الرجل وأكثر جزعا وأعظم لوعة » (**11**).

كما تطرح الشاعرة « قبلة بركاهم »في مطلع قصيدة بعنوان«شريك العمر» استفهام استعملت كلمة دالة على ذلك« وشنهي ذنبي », فهي تستفسر من حبيبها وهي في حيرة من أمرها عن السبب الذي جعله يفارقها ويبتعد عنها فهي في حالة حزن واضطراب نفسي كأمواج البحر المتلاطمة , فرمت نفسها في بحر الحب فأغرقها في جراح الحب والأحزان بعد هجر محبوبها ولم تجد له مخرج « بعدك يا حنان واش تبقالي », «كنت أنت روحي وأهلي وموالي », كما تعبر عن مدى استعدادها لأن تنتظره ولو كانت مدة الانتظار طويلة , وهذا هو الحب الحقيقي كما تراه الشاعرة , حيث أنها من خلال هذا السرد من القصيدة نلاحظ كيف عبرت عن رؤيتها للحبيب والحب الحقيقي فتقول في قصيدتها :

يَـــا شْـــرِيك لْعمـــر واشَـــنْهِي ذَنْـــبِي وبَعْـــت لَعْمُـــر رْخِـــيس نَسْـــخَيلُوا غَـــالي
مـــن وَحْنَـــا شَـــباب نَصْـــبُر ونْخَـــبي وَنْـــوّري مَـــا غـــير المحاســـن لَعْيَـــالِي
مَـــا تَصْـــنَعش الصَـــامطة هـــذا ذَنْـــبي وَنْـــبَرر وَاش قُلْـــت ونْلُـــوم حَـــالي
مَـــا نَرقُـــد علـــى الدَافيـــة تْحَمّـــي جنـــبي أَنْخَليهـــا ونقـــول هـــذي للغَـــالِي
كُنـــت أنـــت كَنـــزي وعَـــزّي يـــا تَعْـــبي وكُنـــت أنـــت رُوحِـــي وأهلـــي ومَـــوَالِي
بَعْـــدك مـــا عَنْـــديش كَلمـــة كـــي نَنْطَـــق وبَعـــدك مـــا عَنْـــدِيش رُؤيـــة تَحْـــلَالي
وبَعـــدك مَـــا عَنْـــديش حَـــسّ لي يَسْـــمَع وبَعْـــدك يـــا حَنَـــاني وَاش تْبَقَّـــالِي

3. 3-الدنيا:

تحمل الدنيا في طياتها الفرح والحزن , الحب والكره , ففيها من يعيش سعادة أبد الدهر , وفيها من يعيش بين السعادة والحزن فهذا الموضوع بين واقع المرأة (الشاعرة) وبين ما تعيشه من أحزان وهموم وتعب وشقاء ,في هذه الحياة فجاءت موضوعاتها عن الغدر الخيانة , الفقر , الظلم ..... وغيرها , فعبرت عن ما يدور في خاطرها من أوجاع وأحزان ليس فيه إلى التعب والألم وقد جعلتها تشعر بأن قلبها صار يبابا , وأن عمرها أصبح شتاءاً دائما فصارت تعيش جسدا بلا روح ومعبرة عن حالات مختلفة عاشتها وخاضت تجربتها بنفسها , ومتأثرة بتجربة الآخرين أو من نسج خيالها الواسع وتصب كلماتها في قالب شعري بأسلوبها الخاص .

فالمرأة لها إحساس رهيف ضعيفة العزيمة , لا تعرف كتمان أحزانها وإخفاء مشاعرها إلى ما ألمى بها من ألم , فهي تلوم زمانها على قساوته عليها وتعاتب الدنيا على ما فعلته بها من ظلم وقهر وغدر, فهي عندما تحزن تشكوا وتفشي ما ألمى بها من حزن , هذا ما وقفت عليه في موضوعات شاعراتنا

بالمنطقة , وكانت الدنيا أحد الموضوعات التي تناولتها فكل منهن راحت تشكوا حزنهن وتعاتبن الدنيا على ما مر بهن من ظروف قاسية أليمة جعلتهن يصبن إحساسهن اللين الصادق في قالب شعري واحد, « يصدر عن عاطفة صادقة بالتأكيد , ترفع بها للتصوير عن مشاعرها والتعبير عن إيقاع الأشياء والأحداث على نفسها .... ذلك أن الحدث مهما كان ذاتيا لابد أن نجد له في شعرها صدا واسعا» (**12**), ومن بين تجاربهن نأخذ الشاعرة « قبلة بركاهم » التي تسرد حال الدنيا وهمومها في قصيدة لها بعنوان « الدنيا » فتقول :

هَـذِي الدنيـا كِـيمَا مَثـل السَلّـوم وحْيَاتـك دَرْجَـات فِيهَـا تلقاهـا
تَبْـدَى الدَرْجَـة لَوْلَـى في هـذا اليَـوم بَـين الـوَالدِين دنْيَـا مَحْـلاهَا
مـا تَتْعَقَـد مـا عليـك النّـاس تلَـوّمْ وتَسْـعَد مِـن أدْنَـى حْوَايـج تَلقَـاهَا
وتَبْـدَى الدَرجَـة الثَـانيَة هـذا مَعْـلُوم مَرْحَلَـة الشَـبَاب تَظْهَـر مَقْـوَاهَا
في بَحْـر الـدنيا بَـدِيتْ فِي شَـاو العَـوْم ومْوَاجُـو مضَـارْبَة فِي بَعْضَـاهَا
فِيهَـا مـن يَغْـرَقْ ومَـا يَعْـرَفَشْ يـعُوم وفِيهَـا مَـن هُـو في سَفِينَـة سَـوَّهَا
وفيهـا مـن هُـو رَاقـد وَدّاه النَّـوم ومَـا يَعْـرَفَشْ وِيـن نَفْسُـو يَلْقَـاهَا

فهذه الأبيات تأكيد واضح وصريح على وصف مراحل حياة الإنسان وتسلسلها , من مرحلة الولادة إلى أخر مرحلة في حياته وهي الموت وفي كل درجة توصي بها الشاعرة بأن الدنيا هي إلى متاع وغرور, فلا تقع في فخ متاعها ولا يغرينك ملذاتها , فلإنسان يمر فيها تارة بأحوال صعبة وتارة أخرى بأوقات سعيدة , فالشاعرة تخوف وتحذر الناس من مخاطر الدنيا وتمثل لها كدوامة البحر من يدخلها يغرق فيها , وإذ لم تمشي فيها بعقلانية ونفس محبة لله وروح صادقة

ستجد نفسك في دوامة الظلم والمكر والخداع , وتختم قصيدتها على أن حال الدنيا هي سنة الحياة ونهايتها الموت , لتأكد على ضرورة القناعة بما قدره الله فتقول :

يُـنقُص سَمْعـك والبَصَـرْ ويطِـير النُـوم واحْسَـاب الضَمِـير وأمْـرَاض مْعَـاهَا
هَـذِي دنْيَـا فَـانْية لا حَـال يـدُوم والنِهَـايَة كَـايْنَـة نَسْتَنَـاهَا

تلوم الشاعرة الدنيا وتعاتبها جراء ما لحق بها من أحزان عايشتها في ألم ويأس, فهي خدعتها وأغرتها ففي هذه الأبيات تحط ثقل أحزانها على الدنيا تقول :

الـــدّنيا كُـــونْطرا وحْنَـــا عُمَّـــال
وَلِّي كَمّـــل عَقْلُـــوا يَتْوقّـــف
مَـــا يَنْفَـــع لَاجَـــاه ولا مَـــال
ومْـــدَبَّرها يْوهَـــب ويْخَـــوّف
مَتْقُـــولش نَتْرسّـــم مُحَـــال
وأَجْيَـــال بعـــد أَجْيـــال تْخَلَّـــف

تقودنا الشاعرة في قصيدتها عن الدنيا واصفة في أبياتها, أن الدنيا هي مجرد وقت للعمل وعبادة الله ولسنا خالدين فيها ولا ينفع فيها مال ولا جاه والبقاء لله وحده. كما قال السلف : « وأعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا وأعمل لآخرتك كأنك تموت غدا » .

تعددت الصفات التي ألحقتها الشاعرات بالدنيا, من غدر وخداع, مكر وظلم وما يحدث فيها من انحطاط وفساد وتدني الأخلاق, فجاءت إحدى الشاعرات بالمنطقة المسماة « ودادة أم هاني» بقصيدة تروي فيها عن هموم الدنيا فتقول :

مَـانَتكُم يـا مـن الـدنيا تَغْـدر تَقْلـب شَـقْفَتها وتَرجَـع بـالمكْرَات
مَـا شُـفتوش الزَايخَـة كَانـت بَكْـري بَعـد التَحْفـة والحذَاقـة قَـع هْـدَات
المشـية وَدّرتهـا رَاحـت عَـنيّ يَاسـر مـن عْـدَيانا قـع أَششْـفَات
آخـر عَـاد يقـول بيهـا عَلّـة وآخـر قَـال مْلَقَطْهـا هَـذي دَعْـوَات
قُلـتلهم يَـا نَـاس خَـافُو مـن ربي وهـذي راهَـا قَـا مـن عَـالِي لشـيات

تقودنا الشاعرة في قصيدتها عن الدنيا واصفة في أبياتها , شقاء الدنيا وتعاستها وانعدام الراحة والأمان فيها وهي سوى مرحلة وينتهي كل بالفناء , واصفة مرحلة موت الإنسان ورجوع الروح إلى خالقها على طريقة الحساب وحصيلة الزاد من أفعال الخير والشر من جراء هذه الحياة التي تقابل بها مولاك عز وجل , وفي آخر قصيدتها تتضرع من الله أن يغفر لها

ويبعد عنها وسوسة الشيطان الذي يؤدي بها إلى الهلاك , ودعوتها إياه أن يقيها من عذاب النار لها ولأمة محمد صلى الله عليه وسلم وتوضح ذلك في البيتين فتقول فيهما :

وعَـــرفْني بطريـــق ربي نَاخُضْـــها واغرس في قَلبي الصَوم مع الصَلاة
واغفـــر لي للوالـــدين اللّـــي تَعْبُـــوا واغفـــر للأمـــة وارحمهـــا جَمْعَـــات

وتقول شاعرة أخرى في قصيدتها (الدهر) لتكشف عن غدر الزمان ومرارة الحياة فجاءت فيها :

يـــا ذ الـــدّهر عـــلاه عنـــا تتقلـــب ومَـــا يَبْقَـــاش حَـــد إلاّ سُـــبْحَانُو
لكّـــــني في عْرَبنـــــا تَسْـــــتَغْرب والمســـلم كِيفَـــاش يَعْـــدَم إخْوانُـــو
اللّـــي خَـــاف الله قَـــالُوا يَتْرهّـــب ولَلّـــي جنّـــد خَـــاف يَظهـــر مْكَـــانُو
واللّي يْقُـول الحق يَومُـو مَـا يُعقـب وَلّي يَسـكُت نَـار في وَسـط أكْنَـانُو

جاءت في مطلع القصيدة استفهام واستفسار « يا ذ الدهر علاه عنا تقلب » دال على حيرة من هذا الدهر الذي يتقلب كموج البحر , والذي يحمل في طياته الظلم والقهر .

الخاتمة :

بعد هذه الجولة في الشعر الشعبي النسوي في منطقة الجلفة , نستخلص أن الشاعرات تعيش واقع مليء بالقلق والحيرة والألم والحزن الناتج عن الإحساس بعدم التوازن النفسي بين الذات وبين الواقع الخارجي , وقد كان تعبير الشاعرة جله عن هذا الشعور الذي عذبها وحطمها والإحساس بالوحدة والضياع , جراء فقدان الأحبة هذا من جانب المظهر الأول , أما المظهر الثاني الحب والحزن ،لقد كان الحب الفرحة الوحيدة في حياة الشاعرة . لكن هذه العاطفة لم تنجح من قسوة الزمن, فجفت وأصبحت مزيفة وهكذا زادت الآلام الشاعرة أضعاف ما كانت عليه, وآخر هذه المظاهر هي ظاهرة حال الدنيا وما فيها من مشاكل متراكمة ومتعبة كالخداع والغش والخيانة , وغيرها زادت من أسى حزنه وعاشت حياة صعبة قاسية وفقدت الحب والمودة ومات بعض أهلها و أحبتها وأصيبت بانكسارات وانهزامات موجعة حتى تمنت الموت اليوم قبل غد , لأن الأيام لم ترها مسرة واحدة تفرحها .

إن تجلي الحزن في الشعر الشعبي النسوي ناتج عن الواقع المرير الذي تعيش فيه الشاعرة, فالحزن الذي ألمى بها هو حالة نفسية لازمة التطور , فإن الشعور يساعد على دفع الإنسان إلى التقدم , ومن حق الشاعرة أن تشعر بالحزن لأنها ترى العالم في صورة لا ترضي إحساسها، وهي ترفض هذه الصورة وتطلب البديل لها .

المراجع:

1- ابن منظور, لسان العرب, مادة حزن, طبعة جديدة, ج1, دار المعارف, القاهرة.

2- الكندي , رسالة في الحيلة لدفع الأحزان, من ضمن رسائل فلسفية للكندي والفارابي. ، تحقيق عبد الرحمان بدوي، دار الأندلس، بيروت، ط3، 1983.

3- العربي دحو, الشعر الشعبي ودوره في الثورة التحريرية الكبرى بمنطقة الأوراس, المؤسسة الوطنية للكتاب, الجزائر, ج**1,1989** .

4- العلاق , الشعر والتلقي,دراسات نقدية, دار الشروق, عمان, الأردن ,ط**1**, 1997.

5- بشير يموت, شاعرات العرب, نقلا عن: سعد بوفلاقة , شعر النساء في صدر الإسلام والعصر الأموي, دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع , بيروت, ط1, 2007.

6- فاطمة حسين الحفيف , لغة الشعر النسوي العربي المعاصر, نازك الملائكة, سعاد الصباح, ونبيلة الخطيب , نماذج عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع , الأردن, ط**1**, **2011**.

7- صالح مفقودة, أبحاث في الراوية العربية**01**, منشورات مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري, دار القدس, الجزائر, ط**1,2008**.

8- علي بولنوار, الشعر الشعبي الجزائري, منطقة بوسعادة, ديوان المطبوعات الجامعية ,2010.

9- محمد بدر معبدي, أدب النساء في الجاهلية والإسلام, دار الكتب العلمية, بيروت .دط, **1983**.

10- محمد عبد الرحمان , موسوعة علم النفس الحديث, دار المعرفة الجامعية, الإسكندرية, دط,**1978** .

11- مي يوسف خليف , الشعر النسائي في أدبنا القديم, دار النشر , مكتبة غريب, القاهرة , ط1, 1997.

---

[6]- ابن منظور, لسان العرب : مادة حزن , طبعة دار المعارف , القاهرة .

[2] – **الكندي** , رسالة في الحيلة لدفع الأحزان, من ضمن رسائل فلسفية للكندي والفارابي, تحقيق عبد الرحمان بدوي, دار الأندلس , بيروت, 1980.

[3] –**محمد عبد الرحمان** , موسوعة علم النفس الحديث, مج 3, دار المعرفة الجامعية, الإسكندرية, دط, دت , ص: 99 .

[4] – **فاطمة حسين الحفيف** , لغة الشعر النسوي العربي المعاصر, نازك الملائكة, سعاد الصباح, ونبيلة الخطيب , نماذج عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع , الأردن, ط1, 2011, ص:117.

[5] – **العربي دحو**, الشعر الشعبي ودوره في الثورة التحريرية الكبرى بمنطقة الأوراس, المؤسسة الوطنية للكتاب, الجزائر,ج1, 1989ص: 45.

[6] –**علي بولنوار**, الشعر الشعبي الجزائري, منطقة بوسعادة . ص: 28.

[7] – **محمد بدر معبدي**, أدب النساء في الجاهلية والإسلام, دار الكتب العلمية, بيروت .دط, 1983, ص: 10.

[8] – **صالح مفقودة**, أبحاث في الراوية العربية 01, منشورات مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري, دار القدس , الجزائر,ط1 2008, ص:147.

[9] –**العلاق** , الشعر والتلقي ,دراسات نقدية. ط1, ص : 86.

[10] – **فاطنة حسين العفيف**, المرجع نفسه, ص:131.

[11] – **بشير يموت**, شاعرات العرب, ص:07, نقلا عن: سعد بوفلاقة , شعر النساء في صدر الإسلام والعصر الأموي,ص:122.

[12] – **مي يوسف خليف** , الشعر النسائي في أدبنا القديم ,ص: 93.